

الضوء اللامع لأهل القرن التاسع

@ 27 @ .

الباسطية عند الجسر الأبيض من صالحية دمشق وحكى لي في ذلك غريبا وهو أنه دخل على واقفها في قدمه قدمها قبل ظهور تقريره إياها مدرسة للتهنئة بقدمه فأعجبتة وقال في نفسه أنه لا يتهاى له سكنى مثلها إلا في الجنة فلما انفصل من السلام عليه لم يصل إلى بابها إلا وبعض جماعة القاضي قد تبعه فأخبره أن القاضي تحدث وهو في الطريق بعملها مدرسة وقرره في مشيختها وحمدت سيرته في مباشرته كلها خصوصا في مال الحرمين بحيث امتنع من قبول رسالة مصادمة للحق ولو جل مرسلها . وأختصر الصحاح للجوهري اختصارا حسنا وجمع ديوان خطب من إنشائه وديوان شعر من نظمه وضمن الفية ابن مالك قصيدة امتدح بها النجم ابن حجي وله الغيث الهاتن في وصف العذار الفاتن أتى فيه بمقاطيع رائقة ومعان فائقة اشتمل على نحو مائة وخمسين مقطوعا أودع كلا منها معنى غريبا غير الآخر مع كثرة ما قال الناس في ذلك مما هو دال على سعة نظره وحسن فكره وأنشأ رسالة عاطلة من النقط من عجائب الوضع في السلاسة والانسجام وعدم الحشو والتكلف سمعها منه شيخي وذكره في معجمه وهو خاتمة من فيه موتا وغيره من الأئمة وأثنوا على فضائله وجميل خصائله واشتهر ذكره وبعد صيته وعمر حتى أخذ عنه الفضلاء طبقة بعد طبقة وصار شيخ الأدب بالبلاد الشامية بغير مدافع ولهم بوجوده الجمال والفخر قال ابن قاضي شهبة اضافة بمنزلة في الصالحية صحبة النجم بن حجي وقرأ علينا تضمينه لألفية ابن مالك في مدح النجم كما فعل ابن نباتة بالملحة في مدح السبكي فأجاد كل الاجادة على أن بين الألفية والملحة البون الكثير فتضمن الألفية أشد ولكنه ممن ألين له الكلام . وذكره المقرئ في تاريخه وقال انه مميز في عدة فنون سيما الأدب فله النظم الجيد قال وتردد إلى مع والده تردد كثيرا . وأورد ابن خطيب الناصرية في تاريخه من نظمه ووصفه بالشيخ الامام العامل الفاضل البليغ انتهى . وقد لفيته بدمشق وقرأت عليه بباسطيتها أشياء وسمعت من نظمه ونثره مالا أحصيه وعندى منهما الكثير وأوردت في معجمي منه جملة وابتهج بقدمي عليه وبالغ في الثناء والذكر الجميل وكان جميل الهيئة منور الشيبة طوالا مهايا ذا فصاحة وطلاقة وحشمة ورياسة ومكارم وتواضع وتودد وعدم تدنس بما يحط من مقداره واقتدار على النظم والنثر بحيث كتب بخطه الحسن من انشائه ما لا يحصى كثرة وكان يحكى أن